تشابهت الكبرياء مع الوداعة، وتشابه المتغطرس مع الرحيم الرقيق. هذا يترفق في وطأته من باب التيه والكبرياء، وذاك يترفق في لمسته شفقة ورحمة. هكذا تتشابه الحالتان وتختلفان في آن واحد. تشابهتا في شكلهما الحسي من حيث الترفق، وتخالفتا في دلالتهما ما بين التيه والغطرسة وما بين الآسي الذي يأسو ويحنو. وهناك الثرى بتحمله وقوته، وهنا العليل بضعفه وحساسيته.

هذا الليث المختلف لا يختلف ويتشابه مع الآخرين فحسب، ولكنه أيضاً يختلف ويتشابه مع نفسه، وهذا ما نجده في قول المتنبي:

وتظنه مما يزمجر نفسه

عنها لشدة غيظه مشغولا

تأتي (نفسه) بالضم بوصفها فاعلاً للفعل (تظنه) والهاء في تظنه تعود إلى الليث بوصفه مفعولاً به. وهذا يعني وجود انشطار داخلي ما بين الليث المتجسد بصوت الزمجرة، وما بين (نفسه) التي أرعبتها هذه الأصوات الأسطورية التي يطلقها الليث وذلك من شدة ما اعتراه من غيظ شغله حتى عن ألصق الأشياء به وأعزها عليه وأهمها لديه. لقد انشغل عن نفسه وزمجر بهذا الانشغال وهذا الغيض. فلم يعد هناك شيء يعلو فوق هذا الصوت، حتى صار صوتاً أسطورياً يشلّ الخطى مما يحدثه من مهابة تعرقل أقدام الخيول وتكسر قلوب الفرسان.

هذا وجه لبلاغة (الشبيه المختلف) تتصاعد فيه الدلالات، كل واحدة أبلغ من سابقتها، إلى أن يصل المتنبي إلى درجة يتراجع